

تفسير البحر المحيط

@ 77 @ خبر المبتدأ وتقديره : فتعسهم ا تعسا . فتعسا : منصوب بفعل مضمر ، ولذلك عطف عليه الفعل في قوله : { وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } . ويجوز أن يكون الذين منصوبا على إضمار فعل يفسره قوله : { فَتَعَسَا لَهُمُ } ، كما تقول : زيدا جدعا له . وقال الزمخشري : فإن قلت : على م عطف قوله : وأضل أعمالهم ؟ قلت : على الفعل الذي نصب تعسا ، لأن المعنى : فقال تعسا لهم ، أو فقصى تعسا لهم ؛ وتعسا لهم نقيض لعى له . انتهى . وإضمار ما هو من لفظ المصدر أولى ، لأن فيه دلالة على ما حذف . وقال ابن عباس : يريد في الدنيا القتل ، وفي الآخرة التردى في النار . انتهى . وفي قوله : { فَتَعَسَا لَهُمُ } : أي هلاكاً بأداة تقوية لقلوب المؤمنين ، إذ جعل لهم التثبيت ، وللكفار الهلاك والعثرة . . .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } : يشمل ما أنزل من القرآن في بيان التوحيد ، وذكر البعث والفرائض والحدود ، وغير ذلك مما تضمنه القرآن . { فَأَظْهَرَ بَدَئَهُمْ } : أي جعلها من الأعمال التي لا تزكوا ولا يعتد بها . { دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ عِلْمَهُمْ } : أي أفسد عليهم ما اختصوا به من أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، وكل ما كان لهم وللكافرين أمثالها . تلك العاقبة والتدميرة التي يدل عليها دمّر والهلكة ، لأن التدمير يدل عليها ، أو السنة ، لقوله عز وجل : { سُنَّةَ اللَّهِ } . في الذين خَلَوْا . والوجه الأول هو الراجح ، لأن العاقبة منطوق بها ، فعاد الضمير على الملفوظ به ، وما بعده مقول القول . { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ } : ابتداء وخبر ، والإشارة بذلك إلى النصر في اختيار جماعة ، وإلى الهلاك ، كما قال : { وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } ، قال ذلك الهلاك الذي جعل للكفار بأيدي المؤمنين بسبب { إِنَّ اللَّهَ * مَوَدَّةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا } : أي ناصرهم ومؤيدهم ، وأن الكافرين لا ناصر لهم ، إذ اتخذوا آلهة لا تنفع ولا تضر ، وتركوا عبادة من ينفع ويضر ، وهو ا تعالى . . .

قال قتادة : نزلت هذه الآية يوم أُحُد ، ومنها انتزع رسول ا صلى ا عليه وسلم) رده على أبي سفيان حين قال : (قولوا ا مولانا ولا مولى لكم) ، حين قال المشركون : إن لنا عزي ، ولا عزي لكم . . .

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ } . . .

{ يَتَمَتَّعُونَ } : أي ينتفعون بمتاع الدنيا أياماً قلائل ، { وَيَأْكُلُونَ } ،
غافلين غير مفكرين في العاقبة ، { كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ } في مسارحها ومعالفها ،
غافلة عما هي يصدده من النحر والذبح . والكاف في موضع نصب ، إما على الحال من ضمير
المصدر ، كما يقول سيبويه ، أي يأكلونه ، أي الأكل مشبهاً أكل الأنعام . والمعنى : أن
أكلهم مجرد من الفكر والنظر ، كما يقال للجاهل : يعيش كما يعيش البهيمة ، لا يريد
التشبيه في مطلق العيش ، ولكن في لازمه . { وَالذَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ } : أي موضع
إقامة . ثم ضرب تعالى مثلاً لمكة والقرى المهلكة على عظمها ، كقرية عاد وغيرهم ،
والمراد أهلها ، وأسند الإخراج إليها مجازاً . والمعنى : كانوا سبب خروجك ، وذلك وقت
هجرته عليه السلام إلى المدينة . وكما جاء في حديث ورقة بن نوفل : يا ليتني فيها جذعاً
إذ يخرجك قومك ، قال : أو مخرجي هم . وقال ابن عطية : ونسب الإخراج إلى القرية حملاً على
اللفظ